سكان الأرض وسكان السماء !

■.. في الاجابة عن السؤال الذي طرحناه عن مصيرنا في الصراع الدائر بيننا وبين الاستعمار الصهيوني ، وهل ننتصر فيه آخر الأمر ، ونطرد الصهيونيين كما طردنا الصليبيين ؟ أم ننهزم كما انهزم الهنود الحمر في صراعهم مع المستعمرين الاوربيين ، ونلقى مصيرا كمصيرهم ؟ في الاجابة عن هذا السؤال يجب أن نبدأ بالسؤال عن الاسباب التي انتهت بالهنود الحمر إلى ما انتهوا اليه ، لنعرف من أين تأتي الهزيمة ، ومن أين يأتي الانتصار ؟.

أحمد عبدالمعطي حجازي *

السؤال ليس جديدا بالنسبة لمعظمنا ، والاجابة عنه جاهزة محفوظة . فقد انهزم الهنود الحمر في صراعهم مع المستعمرين الاوروبيين ، لأن الهنود الحمر همج متوحشون لا عقل لهم يفكرون به ، ولا حضارة يدافعون عنها ، فمن الطبيعي ان يتراجعوا أمام المستوطنين الاوروبيين الذين قدموا إلى العالم الجديد مزودين بكل ما يكفل لهم الانتصار .العلم ، والتخطيط ، والتنظيم واحترام القانون ، فضلا عن البنادق والمدافع.

ولا شك أن الاوروبيين كانوا أكثر تقدما من الهنود الحمر في مجالات كثيرة ، فقد جاءوا اليهم من عصر النهضة الذي ايقظ عقولهم ، وأثار خيالهم ، وجدد معارفهم ، وزودهم بأسلحة فتاكة وأدوات مبتكرة ، وفتح شهيتهم على الدنيا وانحائها المجهولة وأسرارها الخفية وكنوزها المثيرة، لكن معظم الأوروبيين في ذلك الوقت ، أواخر القرن الخامس عشر ، وأوائل السادس عشر – كانوا لا يزالون يعيشون في العصور الوسطى ، ثم أن التقدم أو التحضر لم يكن دائما صفة الغالبين في ميادين القتال ، الهكسوس ، وكانوا قطعانا من الرعاة الرحل ، غلبوا المصريين الذين كانوا قد انجزوا الكثير قبل أن يغلبهم هؤلاء بألفي عام ، والرومان الذين كانوا يخطون خطواتهم الاولى في طريق الحضارة غلبوا اليونان الذين قدموا للبشرية هوميروس ، وسوفوكليس ، وسقراط ، وافلاطون ، وأرسطو ، وصولون ، وفيدياس ، والأسكندر الأكبر . والقبائل الجرمانية المتبربرة غلبت روما المتحضرة، والعرب البداة غلبوا كسرى وقيصر. والمغول المتوحشون قهروا بغداد ودمشق ، وفي عصور الظلام الاوروبية استولى الصليبيون على بلاد الشام ، ودمر الاسبان المتعصبون حضارة الاندلس الزاهرة.

والهنود الحمر بعد هذا لم يكونوا كما تصورهم شهود الزور في السينما الأمريكية همجا متوحشين يهاجمون المستوطنات الاوروبية ويطلقون سهامهم النارية ، وهم يصدرون صرخاتهم الحيوانية .

لقد أنشأ الهنود الحمر حضارات أصيلة ، وامبراطوريات ضخمة ، ومجتمعات سعيدة يعتبرها بعض المؤرخين الغربيين صورا من اليوتوبيات والمدن الفاضلة ، ولقد كانت لهم دياناتهم ، وتقاليدهم القومية ، ومثلهم الأخلاقية الرفيعة ، وآدابهم ، وفنونهم ، وصناعاتهم ، وتفسيراتهم لنشأة الكون ، والطبيعة، وما وراء الطبيعة ، والروح والجسد ، والموت والحياة ، ولاتزال آثارهم ، وأهرامهم ، وكتابتهم الشبيهة بكتابتنا الهيرو غليفية تحتفظ بالكثير من الأسرار .

غير أن الاوروبيين غزوهم في عقر دارهم ، وقضوا على حضارتهم ، ودمروا مدنهم وقراهم ، ومحوا تاريخهم ، وطاردوهم في الوديان البعيدة والجبال الشاهقة أربعة قرون متوالية، وفرضوا على الناجين القليلين منهم لغتهم وديانتهم ، فكيف حدث هذا ؟ وما هي الأسباب التي مكنت الاوروبيين من تحقيق هذه الانتصارات الكاسحة المدوية؟

لقد كان على هؤلاء الغزاة الاوروبيين أن يجتازوا بسفنهم الشراعية بحر الظلمات الذي سموه بعد ذلك المحيط الاطلنطي ، ويصارعوا امواجه ثلاثة أشهر أو تزيد حتى يصل من يقدر لهم الوصول إلى شواطئ الهنود الحمر جوعى منهكين يجهلون مصيرهم ولايتجاوز عددهم في كل رحلة بضع مئات ، فكيف استطاعت هذه الشرذم ان تغلب أهل البلاد الذين كانوا آلافاً وملايين يحاربون في ارضهم التي يعرفونها ، ويحبونها ، ويملكون فيها المآكل والمشرب والملجأ والمهرب ، والكرامة والحرية ؟

الاجابة في كلمة واحدة هي : الخرافة !

لقد كان الهنود الحمر يجهلون كل شيء عن هؤلاء الغزاة الأغراب الذين لم يروا مثلهم من قبل ، أو كانوا بعبارة أدق يعتقدون انهم هبطوا من السماء!.

كانوا هم وملوكهم يشعرون بسعادة غامرة وهم يشاهدون كريستوفر كولومبس وبحارته الأسبان . وقد ذهب بهم خيالهم إلى أن هؤلاء الاغراب البيض الملتحين كائنات سماوية من أصل إلهي ، لأن الهنود لم يكونوا يعرفون أن في هذا العالم ارضا أخرى غير ارضهم ، واذن فالسماء وحدها هي وطن هؤلاء الاغراب ، واليوم – يقول كولومبس – على الرغم من طول بقائهم معي ، ومن المحادثات التي دارت بيننا ، مازالوا يعتقدون انني اجيء من السماء .

لكن الهنود من ناحية أخرى ادركوا أن هؤلاء السادة السماويين لم يهبطوا من عليائهم الا ليبحثوا عن الذهب الذي يوجد في الارض ، وهكذا كانت الصفقة ، فالقادمون من السماء يأخذون ذهب الهنود واحجارهم الكريمة ، ويعطونهم في مقابلها ديانتهم السماوية !

واذا كان الهنود الحمر قد اعتقدوا أن كرستوفر كولومبس كائن سماوي ، فمن حقه أن يلعب هذا الدور حتى النهاية ، ويهدد الهنود بأن يسرق منهم القمر ، وهذا ما حدث بالفعل ، حين حوصر كولومبس على ساحل جامايكا لمدة ثمانية أشهر ، ونفد ما كان معه من زاد ، واصبح في اشد الحاجة لمؤن جديدة لايملك ثمنها ، في هذه الاثناء نظر في السماء وهو الملاح المجرب فوجد أن الخسوف يوشك أن يقع ، فأسرع يهدد الهنود بأن يسرق منهم القمر اذا لم يزودوه بما يحتاج اليه ، وفي التاسع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٥٠٤ وقف زعماء الهنود مشدوهين مرعوبين ،

وهم ينظرون للقمر الذي اخذ يختنق في قبضة كولومبس المدودة إلى السماء ، وعندئذ اسرعوا بالاستجابة دون ان يطلبوا مقابلا لما قدموه !

ولا شك أن هذه الحادثة تجسد الفرق بين عقلية الأوروبيين وعقلية الهنود الحمر في ذلك الوقت .

لكن علينا أن نعلم أنه فرق في الدرجة لا في النوع فالغزاة الأوروبيون لم يكونوا أقل استسلاما للخرافة من الهنود الحمر ، لكن خرافاتهم كانت مختلفة .

كانوا يعتقدون ، كما اعتقد الهنود انهم جنس ارقى ، وأن السماء خصتهم بكل ميزة ، ومكنتهم من العالم ، وسخرت لهم الارض ، وان هؤلاء الهنود ومن يماثلونهم انصاف حيوانات وانصاف بشر .

ولقد كان كريستوفر كولومبس هو نفسه يؤمن بوجود بشر لهم ذيول ، كما جاء في رسالة كتبها سنة ١٤٩٣ توجد في اتجاه الغرب منطقتان لم ازرهما ، يسمون احداهما آفان ، وهناك يولد الناس ولهم ذيول ، ويقول في مناسبة أخرى انه على مسافة بعيدة من هذا المكان يوجد بشر لهم عين واحدة ، وآخرون لهم رؤوس كلاب !

الخرافة واحدة هنا وهناك ، لكن الخرافة الاوروبية كانت عدوانية بقدر ما كانت الخرافة الهندية مستجيبة لهذا العدوان معتقدة انه قدر لا تستطيع ان تقاومه ، ولا مفر من أن تستسلم له ، وهذا ما حدث في أكثر من معركة فاصلة كان في وسع الهنود ان يكسبوها بسهولة ، لكنهم آثروا احيانا ان يلقوا السلاح ، وصدقوا احيانا اخرى وعود الاوروبيين الكاذبة ، وانشق بعضهم على بعض وانقسموا ، فاستطاع اعداؤهم أن يستخدموا الهنود في قتال الهنود ، وربحوا هم المعركة واقتسموا فيما بينهم غنائمها .

ولقد استطاع القائد الاسباني كورتيس عام ١٥١٩ أن يستولي على المكسيك كلها بأقل من الف رجل ، والذي حدث في المكسيك حدث في البيرو ، فقد استطاع مغامر اسباني آخر ببعض المدافع والخيول ان يدمر امبراطورية كاملة في معركة من طرف واحد لم تستغرق إلا ساعات قليلة بدأها هو وأنهاها ، لأن الهنود وعلى رأسهم امبراطورهم اكتفوا في هذه المعركة بأن يكونوا طعاما لها !

الخرافة اذن ، والانقسامات الداخلية ، والحكومات المستبدة هي الاسباب التي ساقت الهنود الحمر إلى مصيرهم الفاجع فهل نجد انفسنا بمنجاة من هذه الأسباب ؟

نحن حتى الآن لانعرف اعداءنا إلا كما كان الهنود الحمر يعرفون أعداءهم ، فنحن نخلط بين اليهود والصهيونيين ، وبين مقاومة الاستعمار الاجنبي والحرب الدينية ، ولهذا نفشل في مخاطبة الرأي العام العالمي ، ونجد انفسنا وحدنا معزولين بعيدين عن الآخرين الذين نتوهم انهم كلهم اعداء .

ولأننا نجهل حقيقة اعدائنا فنحن نجهل مصادر قوتهم ، ونجهل بالتالي مصادر قوتنا ، اذ نقابل مانتوهمه فيهم بما نتوهمه فينا ، فلا نقبض على شيء ، ونخسر كل شيء .

ونحن في هذه الدوامة نتخبط ، ونفقد وعينا ، ولانملك إلا أن نقتص من انفسنا ، وأن ينهال بعضنا على بعض تجريحا وتمزيقا ، وأن نلجأ في النهاية إلى الانتحار .

ومن الطبيعي ان نسقط في ايدي المغامرين الذين يكذبون علينا وهم آمنون ، لأنهم يعلمون اننا نهرب من الحقيقة ، ولانفرق بينها وبين الاوهام !

ونحن اذن لسنا معصومين من هذا المصير الفاجع الذي لقيه الهنود الحمر . فإن ظن بعضنا أن كثرتنا تنجينا وحدها من هذا المصير ، فقد رأينا أن الهنود كانوا كثيرين فلم تنجهم كثرتهم ، وكانت لهم حضارة لم تغن عنهم شيئاً ، لأنها لم تساعدهم على التمييز بين القراصنة والملائكة ، بين سكان الأرض وسكان السماء! .

* كاتب ومفكر مصري

الأحداث تكرر نفسها

محمد الزبيدي

■،، وأخيراً وبعد تراشق استدل به بعض المراقبين على توتر في العلاقات الفرنسية الإسرائيلية بسبب دعوة ارئيل شارون رئيس الحكومة العبرية اليهود الفرنسيين للهجرة إلى فلسطين المحتلة. وصدور تصريحات من الحكومة الفرنسية بأن شارون غير مرغوب به لزيارة فرنسا قبل أن يوضح تصريحاته ودعوته اليهود للهجرة لتنامي ما اسماه بمعادات السامية في فرنسا.

وأخيراً وبعد هذا كله يصل إلى فلسطين المحتلة مئتا يهودي يستقبلهم شارون في مطار بنجوريون ويتم هذا في الوقت الذي يمنع آلاف الفلسطينيين عند معبر رفح من العودة إلى بيوتهم فباتوا يعيشون عرضة للجوع والحر والبرد والمعروف أن معبر رفح هو الذي يفصل بين الأراضي المصرية والأراضي الفلسطينية. إن المعادلة هنا عجيبة حيث يصل الأجنبي إلى فلسطين المحتلة بدون عوائق لا بل ويحتفى به في حين أن الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني الذين عادوا من جمهورية مصر العربية بعد رحلات علاجية يمنعون من دخول أراضيهم ويعودون إلى أرضهم وبيوتهم وإذا كانت هذه المجموعة من يهود فرنسا قد بادرت لاستجابة دعوة ارئيل شارون فإن معدل هجرة اليهود الفرنسيين إلى فلسطين المحتلة سنوياً يبلغ الفين، ولعل من المفارقات أن هؤلاء المهاجرين يعيشون في فرنسا في رغد من العيش وفي ظل مناخ ديمقراطي آمن وكل هذه أسباب استقرار لكنهم مع ذلك يفضلون الهجرة إلى فلسطين المحتلة بتأثير الدعايات الصهيونية والإغراءات التي تتبخر بمرور الوقت، وعلى أية حال فإن الملاحظ أن الصهيونية العالمية هي وحدها من يتمتع بالحرية المطلقة مقاماة هجرة وجريمة وتمردا على الشرعية الدولية، فإذا كانت أبواب الهجرة إلى فلسطين المحتلة أمامهم مفتوحة على مصراعيها فإن هذا يتم في الوقت الذي تواصل فيه الحكومة العبرية تدمير بيوت أصحاب الأرض الشرعيين تحت سمع العالم وبصره، فقد نسف الجيش الصهيوني في آخر جريمة عشرين منزلاً في قطاع غزة كل ذاك يتم في الوقت الذي لا يمر فية يوم دون أن يقتل الصهاينة العديد من ابناء الشعب الفلسطيني وهذه مدينة بيت حانون بقطاع غزة محاصرة منذ ما يقرب من شهر ولا يستطيع مواطنوها أن يتحركوا حتى للحصول على احتياجاتهم دون ان يستنكر مثل هذا الحصار أحد لا من الدول ولا من المنظمات والهيئات الدولية ولا من منظمات حقوق الإنسان. ومن عجب الأيام ان الضغوط الدولية تمارس ضد جمهورية السودان فيما يتعلق بمنطقة دارفور ولا يعبر المجتمع الدولي لممارسات الحكومة العبرية ضد الشعب الفلسطيني أي التفاتة رغم أنه يشاهد عبر الفضائيات مواكب التشييع للشهداء الفلسطينيين كل يوم ،إلا أن خصم هذا الشعب هو الصهيونية؟ وهل أصبحت الصهيونية تمثل الرعب الذي يرتاع له المجتمع البشري لا فرق في ذلك بين الإسلامي والمسيحي ؟؟

إن في الإجابة على مثل هذه التساؤلات يكمن السر، نحن نعلم أن الصهيونية العالمية تهيمن على الإعلام والإقتصاد وتتواجد في مواقع القرار في بعض الدول الكبرى،ولكن هل يعني هذا أنها ذات تأثير بالغ على القرار وأصحاب القرار؟ ربما كانت الإجابة بالإيجاب صحيحة وهذا هو الملاحظ وربما المتعارف عليه منذ أمد بعيد وقد يعظم التأثير الصهيوني بدرجة ملحوظة في مواسم الإنتخابات واللوبيات الصهيونية خبيرة باستغلال مثل هذه الظروف وهو ما نفتقر إليه نحن العرب فقد تكون القيمة المادية لمثل هذه الضغوط التي تمارسها اللوبيات أقل مما تملكه الدول العربية ولا نقول الجاليات العربية أكبر وأكثر وربما أهم لكن الحس التجاري والتوظيف يكاد يكون منعدماً عندنا أولا لايمكن مقارنته بخبرة الصهيونية ومهما قيل ان المصالح هي التي تحكم علاقات الدول ببعضها فإن مثل هذه القاعدة تبدو غير جامعة ولا مانعة ولهذا قالوا إن الأرباح تمثل مقدار الفارق بين الغباء والذكاء وتا الله لو أن الثروة النفطية في يد الصهيونية لا ستعبدت العالم وهي تتبع سياسة براجماتية لا تستحي من ان تستغل أي شيء في سبيل مصالحها وسواء كانت هذه المصالح مشروعة، أو غير مشروعة بيد أنها توظف كل شيء لأغراضها وليسمح لنا القراء الكرام إذا تكررت العبارات والعناوين فالقضية الفلسطينية هي الأطول عمرا والصراع الصهيوني الفلسطيني العربي هو صراع أربعة أجيال ولهذا فلا غرور أن تتكر الجمل والعبارات وحتى العناوين ذلك لأن الجلاد واحد وإن تنوعت أفراده، والضحية واحدة وإن تعددت أشخاصها،وذلك مالا يترك للكاتب أي خيار.

حمل السلاح واستخدامه والجهات المختصة

علي عبدالله مياس

■ .. لم أكتشف أني جبان وأخاف من رؤية السلاح وسماع صوت طلقاته النارية إلا عندما صدمت بموقف لم اشاهده من قبل كوننا أبناء المدن أقل تمنطقا بالسلاح، فلا نحمله ولا نستخدمه فاقصى مايمكن أن نلبسه هو الجنبية .

ولا اكذب إذا قلت أني أكثر الناس خوفا عندرؤية السلاح لأنه يمثل في نفسي الموت والجراح والآلام لأني مسالم لا أحب الجدال او العراك بتسابك الأيدي، وبعيد عن مخيلتي استخدام العصى او الجنبية ومن المستحيلات عندي التفكير باستخدام السلاح الناري ومع ذلك لابد ان نكتوي بناره بسماع أصوات الرصاص بأسلوب عشوائي تؤذي الجميع أطراف الخصومة وغيرهم كونهم في نفس المكان وتبدأ المشكلة بالاستعراض بحمل السلاح سواء المصرح به لذوي النفوذ وتقليد الآخرين لهم وبالذات من يملكون الأموال وغيرهم.

فالأمن يجب ان يوفر للجميع ولاحاجة للحراسات الخاصة كالعالم وإن كانت ضرورية تنظم، اصبحت ظاهرة حمل السلاح والتجوال به في شوارع المدن توحي ان من يحملون الأسلحة يفقدون عقولهم بمجرد وضع تلك الكتل الحديدية على اكتافهم فيخيل لهم انهم يستطيعون إخضاع الآخرين وإبادة كل غريم دون رادع.

ومن الأحداث التي جعلتني لا اتمالك نفسي خوفا ولم استطع تدوين ذلك إلا بعد شهر تقريبا بعد أن هدأت نفسي محاولا استجماع قواى للكتابة عن هذه الظاهرة التي تتكرر كل يوم في عاصمتنا الحبيبة وهذا نموذج منها.

ففي الحي الذي أسكنه وأمام المنزل الذي يبعد عن منزلي عدة امتار حدث مايمكن ان يتقبله الفرد في الأفلام أما في الواقع وفي وضح النهار وفي وجود ناس فهذا ما لا يمكن توقعه حيث تأتي سيارة وينزل منها شخص يحمل آلي كلاشنكوف ودون مقدمات أوحياء او حتى حذر يقوم بتكسير زجاجات السيارة الواقفة امام المنزل ثم يطلق عبارات نارية على السيارة والمنزل وصعد السيارة التي أتى بها، ولحسن الحظ لم تقع إصابات وان المواطنين كانوا عندمستوى المسئولية بتسجيل رقم السيارة ومعرفة ملامح الجاني وإبلاغ الجهات المسئولة والقبض عليه إلى هنا الموضوع عادي عند كثير من الناس وشكرا للمواطنين والجهات المختصة، ولكن للأسف تتم المماطلة في اجراءات مابعد القبض ابتداء من اقسام الشرطة والنيابة وانتهاء بالمحاكم وذلك لغرض في نفوس المعنيين لكي يتأدب الغرماء بصرف وبيع كل مايملكونه في المشارعة رغم ان المواضيع مستوفية كل الشروط اللازمة للحكم.

هل سنسمع صدور وتطبيق الاحكام ضد هؤلاء الذين يخلون بالامن وينشرون الخوف في قلوب الصغار والكبار بل ويشوهون سمعة وصورة المدينة ويحولونها إلى ساحة معارك لأمراضهم النفسية، نتمنى أن تكون الجهات المسئولة عند حسن الظن بإجراءاتها النافذة لردع كل من تسول له نفسه إقلاق السكينة العامة ولتكون مدننا خالية من السلاح المتجول في الشوارع.